قراءة نقدية
لكتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان
تأليف / حميد بن محمد بن رزيق

ناصر بن علي الندابي [١*]
سليم بن محمد الهنائي [٢]

الاستـــلام: ١٣/ ١٠/ ٢٠٢٥
التحكيم: ٨/ ١/ ٢٠٢٦
القبـــــول: ٩/ ١/ ٢٠٢٦

© 2026 University of Science and Technology, Aden, Yemen. This article can be distributed under the terms of the Creative Commons Attribution License, which permits unrestricted use, distribution, and reproduction in any medium, provided the original author and source are credited.

© 2026 جامعة العلوم والتكنولوجيا، المركز الرئيس عدن، اليمن. يمكن إعادة استخدام المادة المنشورة حسب رخصة مؤسسة المشاع الإبداعي شريطة الاستشهاد بالمؤلف والمجلة.

[١] قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة الشرقية، الشرقية عمان
[٢] قسم التاريخ، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، جامعة نزوى، الشرقية عمان
* عنوان المراسلة: Nasser.alnadabi@asu.edu.om

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

قراءة نقدية
لكتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان
تأليف / حميد بن محمد بن رزيق

الملخص:

تتناول هذه الدراسة بالتحليل والنقد كتابًا تاريخيًا مهمًا من تأليف المؤرخ العُماني ابن رزيق، بهدف الكشف عن منهجه التاريخي، وتقويم مصادره، وتحليل أسلوبه البلاغي، إلى جانب استجلاء الأبعاد السياسية المؤثرة في كتاباته. تنبع أهمية هذا البحث من محاولته إعادة الاعتبار إلى هذا الأثر التاريخي الذي لم ينل حظه من العناية والاهتمام مقارنة بكتاب "الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين"، رغم تقاطعهما في كثير من المضامين والمعلومات التاريخية.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج التحليلي لرصد أبرز ملامح القوة والقصور في الكتاب، إلى جانب المنهج النقدي التاريخي لتحديد موقعه ضمن الخريطة المعرفية للمصادر العُمانية، كما استخدم المنهج السردي لتوضيح بعض الروايات التاريخية ذات الأهمية. وتوصلت الدراسة إلى أن ابن رزيق كان ذا منهج خاص، يجمع بين السرد التاريخي والتحليل النقدي، مستندًا إلى مصادر متنوعة، وإن شاب بعضها القصور في التوثيق. كما كشفت الدراسة عن حضور جليّ للتأثير السياسي في بعض مضامين الكتاب، وبيّنت الأثر البلاغي الكبير للغة المؤلف، التي طعّم بها مادته التاريخية بأسلوب شعري ونثري زادها ثراءً وأصالة.

***الكلمات المفتاحية:** ابن رزيق، التاريخ العُماني، المنهج التاريخي، البلاغة التاريخية، التأثير السياسي، النقد التاريخي، المصادر التاريخية.*

المقدمة

ترك لنا المؤرخون العمانيون العديد من المؤلفات التي غطت الكثير من الفترات التاريخية العمانية وكان من بين هذه الكتب كتاب الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عمان، ولكون الكتاب واحد من المصادر المهمة أحببنا إلقاء الضوء عليه.

المشكلة

لعل السبب الرئيس الذي جعلنا نلتفت إلى هذا المصدر التاريخي العريق هو محاولة منا لإظهار هذا الكنز التاريخي الناصع للقراء سواء في داخل السلطنة أو خارجها، إضافة إلى خفوت نوره ومكانته؛ نظرا لذلك الاهتمام الكبير بنظيره الآخر – الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين- الذي تقاطع معه في الكثير من المعلومات والمعارف والروايات التاريخية، وكذلك لأظهار الجهد الذي بذله مؤلف في جمع مادته وتنوع مشاربها.

الأسئلة

-ما المنهج التاريخي الذي اتبعه ابن رزيق في كتابه؟

-ما القيمة المعرفية للمصادر التي استقى منها ابن رزيق معارفه ومعلوماته؟

-ما مدى تمكن المؤلف لغويًا وبلاغيًا في صياغة مؤلفه وضبط لغته؟

-ما تأثير البُعد السياسي في كتابات ابن رزيق؟

-ما المكانة المعرفية التي بلغها الكتاب بين مثيلاته في المكتبة العُمانية؟

الأهداف

تسعى هذه الدراسة إلى تحقيق الأهداف التالية:

١- تحليل المنهج التاريخي الذي اتبعه ابن رزيق في كتابه هذا.
٢- تقييم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف.
٣- تقويم البُعد السياسي الذي أثر على الكتابة التاريخية لابن رزيق.
٤- نقد الأسلوب اللغوي والبلاغي الذي قدمه ابن رزيق في كتابه.
٥- الكشف عن أثر هذا الكتاب في الوسط العُماني.

منهجية الدراسة:

اعتمدنا في هذه الدراسة المنهج التحليلي، الذي من شأنه أن يوضح لنا جوانب القوة والضعف في هذا المصدر، والروايات التاريخية التي هو مصدرها أو نقلها ممن سبقه، كما أننا لن

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

نتمكن من إغفال المنهج النقدي التاريخي الذي يوضح للقارىء المكانة التاريخية للمصدر بين أنداده وأقرانه من المصادر الأخرى، وفي الوقت نفسه يظهر مدى تمكن المؤلف من مادته وحسن طرحه للرواية التاريخية، ووظّفنا أيضا المنهج السردي في بعض الأحيان من أجل إعطاء صورة واضحة الملامح لبعض الروايات التي نروم تحليلها ونقدها نقدا علميا.

الدراسات السابقة:

لا توجد دراسة نقدية مستقلة لكتاب الشعاع الشائع ولكن هناك دراسات متفرقة عن شخصية ابن رزيق تعرضت لبعض كتبه ومؤلفاته بشيء من النقد العابر، من هذه الدراسات ما يلي:

أمبوسعيدي، عبدالله بن سعود بن حمد (2003) ابن رزيق حميد بن محمد بن رزيق (١١٩٨–١٢٩١هـ / ١٧٨٣–١٨٧٤م) ودوره في كتابة التاريخ العماني: دراسة في مصادره ومنهجه (رسالة دكتوراه غير منشورة)، كلية الدراسات العليا، الجامعة الأردنية، الأردن. وهذه الدراسة قدم فيها الباحث نبذة تفصيلية عن حياة المؤلف وتعرض لمنهجيته في شتى مؤلفاته دون التركيز على هذا الكتاب ، ولكننا لا ننكر أننا أستفدنا منه كثيرا في إبراز جوانب مهمة من حياة المؤلف وبعض النقاط التي تعرض لها فيما تمس منهجيته.

العيسري، محمد بن عامر (٢٠٢٤، ٣ مارس) .سبائك اللجين...عالم في ديوان شعر، جريدة عُمان. تم الاطلاع بتاريخ ٢٦ يوليو ٢٠٢٥م، وهو مقال قصير تعرض فيه لشاعرية ابن رزيق، ولكون الكاتب من البارزين في الساحة العمانية في تقصي المخطوطات فإنه أخرج لنا في هذا المقال بعض الجوانب الأدبية التي هي غائبة عن الكثير من الباحثين عن شخصية ابن رزيق الشعرية والعدد الهائل من الأبيات التي قالها في محافل عدة.

الندابي، ناصر بن علي (2024) وشيخة الهاشمية: قراءة في مصادر التاريخ الحضاري العُماني في العصر الإسلامي الوسيط، مجلة رفوف – مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر، المجلد ١٢، العدد٢. وهذا البحث العلمي تم نشره والتعرض فيه للمصادر العمانية بصورة عامة دون التركيز على كتاب الشعاع الشائع.

عناصر الدراسة:

-التعريف بالمؤلف.

-مكانة الكتاب بين المصادر التاريخية العُمانية.

-وصف للمادة التاريخية التي حواها الكتاب.

-قراءة نقدية للمنهجية المتبعة في الكتابة.

-تقييم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف.

التعريف بالمؤلف:

-اسمه ونسبه:

هو حميد بن محمد بن رزيق بن بخيت العبيداني نسبا (أمبوسعيدي،٢٠٠٣م) والنخلي موطنا(ابن رزيق،٢٠١٦)،ولد عام (١١٩٨هـ/ ١٧٨٣م) على أكثر الروايات وأشهرها (ابن رزيق،٢٠٠٩م؛المطروشي،٢٠٢٤م)، واختلف في مكانة ولادته بين مدينتي نخل ومسقط، (أمبوسعيدي،٢٠٠٣م، ويظهر أنه لم يعقب نسلا، كما لم يؤثر عن أنه تكنى بأي كنية، وإنما كان يحبذ مناداته بسليل ابن رزيق، وهو الاسم الذي اشتهر به حتى في الكتابات الأوربية (ابن رزيق،١٩٩٧م)، وذهب أحد الباحثين(أمبوسعيدي،٢٠٠٣م)إلى إحتمالية وجود بنات لديه لكن لم يشئ أن يصرح بهن لأنفة العرب المعهوده، ولكن يبقى رأي يعوزه الدليل.

-علاقة عائلته بالأسرة الحاكمة

نشأ الشيخ في بيئة علمية إذ كان جده بخيت بن رزيق يحظى بمكانة علمية وإدارية في دولة اليعاربة ثم في دولة البوسعيد ، فقد كان محاسبا في فرضة (ميناء) مسقط، بتفويض من الإمام سيف بن سلطان اليعربي الثاني،يقول ابن رزيق: «وكان جدي قد خرج من بيته يريد فرضة مسقط، وكان هو يومئذ المتقدم عند الإمام سيف بن سلطان على كتابة الدفتر الحسابي، وبيده قلمه»(ابن رزيق،٢٠١٦م) ، واستمر في منصبه حتى قيام الدولة البوسعيدية على يد الإمام أحمد بن سعيد (١٧٤٤م – ١٧٨٣م) الذي أقره على منصبه، وقد حفظ لنا التاريخ قرار التعيين:" «بسم الله الرحمن الرحيم، من إمام المسلمين أحمد بن سعيد إلى كافة أولادي خصوصًا، وإلى الناس عمومًا، أما بعد، لتتركوا بعدي رزيق بن بخيت، ومن تناسل منه، مثل ما تركته في الفرضة (الجمارك) على قلم حساب، وتتموا له الفريضة

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

كما تممتها له، وهي مرقومة في دفتر السركار (أمين السر)، وأحسنوا إليه مثلي، (فمَن بَدَّلَهُ بَعْدَمَا سَمِعَهُ فَإِنَّمَا إِثْمُهُ عَلَى الَّذِينَ يُبَدِّلُونَهُ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ) (سورة البقرة، الآية ١٨١) (ابن رزيق، ٢٠١٦م).

وبعد وفاة بخيت بن رزيق انتقلت هذه المهمة إلى ابنه محمد، وهذه الوظيفة جعلت الأخير قريبا من بلاط السلطان، ومطلع على الكثير من المجريات السياسية ، فقد ربطت محمد بن بخيت علاقة وطيدة بالسيد سلطان بن أحمد البوسعيدي(١٧٩٢م – ١٨٠٤م)، فقد اتخذه مستشارا له، وأبرز جلسائه وندمائه، وجعل محمد بن بخيت من منزله ملتقى لأكابر أهل مسقط وأعيانها للتحاور والتسامر (المطروشي، ٢٠٢٤م).

ولم تتوقف مكانة محمد بن رزيق عند ذلك الحد، بل انخرط في الأمور السياسية، فحينما قرر السيد سلطان بن أحمد انتزاع مدينة مسقط من قبضة أبيه الإمام كان هو الوسيط في هذه المهمة، فقد استدرجه السيد سلطان إلى صفه وطلب منه مخاطبة التجار وأعيان مسقط لينضموا إلى ثورته، وكان في مقدمة مستقبلي السيد سلطان حينها، كما كان له أيضا اليد الطولى في حلحلة الإشكاليات التي وقعت بين السيد سلطان ومحمد بن خلفان البوسعيدي" الوكيل" والي مسقط (ابن رزيق، ٢٠٠٧م).

-مكانة المؤلف مع الأسرة الحاكم

ورث المؤلف العلاقة الوطيدة مع السادة البوسعيد من أبيه وجده، فأصبحت لحميد بن محمد " ابن رزيق" حظوة لديهم، ولعل من أبرزهم السيد سالم بن سلطان بن أحمد البوسعيدي (ت: ١٨٢١م) حفيد الإمام أحمد بن سعيد، فقد كان ابن رزيق اليد اليمنى للسيد ومستشاره الأمين، شارك معه في معاركه، وهذه العلاقة المتينة انتقلت إلى أبنائه من بعده، فقد توطدة العلاقة بينه وبين أبناء السيد سالم بن سلطان "محمد وحمد" وحصل على نفس المكانة التي كانت بينه وبين أبيهم (ابن رزيق،١٩٩٧م) ، وهذا الذي يفسر لنا قيامه بتأليف كتابه المعروف بالسيرة الجلية سعد السعود البوسعيدية إذ كانت تنفيذا لطلب السيد حمد بن سالم ليحكي له عن سيرة جده الإمام، والتي توسعت فيما بعد لتصبح ذلك السِفر الكبير الموسوم بـ" الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين"، الذي ظل شاهدا لقوة العلاقة بين الطرفين، وقد وضحت فيه تلك المكانة من خلال بعض الروايات التاريخية التي يرويها

وتجده يجزم بصحتها، من ذلك قوله:" " وهو الأصل عندي" متحدثا عن قصة حروب الإمام مع العجم، على الرغم من كثرة الخلاف فيها (ابن رزيق، ٢٠١٦م).

فعاش ابن رزيق، بين سلاطين الدولة البوسعيدية وسادتها، وبين علماء وأعيان مسقط الذين اتخذوا من منزل أبيه مكانا للتسامر والتناقش، ويبدو أن هذا المنزل كان يحوي مكتبة عامرة بالمؤلفات، يدل على ذلك اقتناء ابن رزيق لكتب مهمة من بينها كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، الذي قام بنسخه بيده (عبدالله، ٢٠٢٥م) ، هذه البيئة صنعت لنا ابن رزيق الذي سطر كل ما اكتسبه من هذه الشرائح في كتابه ومؤلفاته وحفظ لنا ذلكم الإرث التاريخي والمعرفي، وعلى الرغم من كثرة الوافدين على منزل أبيه إلا أنه لم يصرّح بهم، ولكن من خلال مصنفاته وما دونه يمكننا الخروج بعدد منهم: كالشيخ حماد بن محمد السبط، والشيخ ناصر بن محمد الخروصي، والشيخ معروف بن سالم الصائغي، والشيخ خاطر بن حميد البداعي، والشيخ محسن العجمي القصاب، والسيد مهنا بن خلفان البوسعيدي (ابن رزيق، ١٩٩٧م).

نتاجه العلمي:

لا نبالغ إن قلنا أن ما كتب عن عُمان بعد ابن رزيق يعد عالة على مؤلفاته الضخمة والتي من بينها ما يلي:

١-الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان، وهو موضوع دراستنا.

٢-الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، وقد تمت طباعته وتحقيقه بإشراف من وزارة التراث والثقافة، وخرجت منه عدة طبعات كان آخرها ٢٠١٦م.

٣-الصحيفة القحطانية، وقد خرج لأول مرة محققا على يد محمد حسن النابودة عام ٢٠٠٨م، ونشرته دار البارودي، في ثلاثة أجزاء، ولكن وزارة التراث والثقافة العُمانية أعادة تحقيقه وطباعته في خمسة أجزاء عام ٢٠٠٩م.

٤-السيرة الجلية سعد السعود البوسعيدية وقد قام عبدالرحمن السالمي بتحقيق هذا الكتاب، بإشراف من قبل وزارة التراث والثقافة العمانية، وتم نشره عام ٢٠٠٧م.

٥-كتاب المؤتمن في ذكر مناقب نزار واليمن "الصحيفة العدنانية"، وقد قامت وزارة الثقافة والرياضة والشباب، بالسلطنة عام ٢٠٢١م، بطباعته بعد تحقيقه من قبل نخبة من المحققين، وخرج في عشرة أجزاء.

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

٦-ديوان ابن رزيق: وقد طبع طباعة قديمة وحقق من قبل محمد عبدالمنعم خفاجي ونشر عام ١٩٨٣م عن طريق دار الكتاب العامة، ولم يتم تحقيقه أو طباعته مرة أخرى، حسب علمنا.

١- سلك الفريد في مدح السيد الحميد ثويني بن سعيد ، وقد ضم الكتاب أيضا بعض القصائد الأخرى لابن رزيق "الجوهرة الجمانية في مناقب اليمانية، وجوهرة التيجان، وصحابيات من اليمن" ، وقام بتحقيقه محمد بن علي الصلابي، عام١٩٩٧م ، بإشراف من وزراة التراث القومي والثقافة العمانية.

٢- له العديد من الدواوين والقصائد الشعرية التي لم تر النور إلى يومنا هذا وهي تربوا على الثمانية كما أشار إلى ذلك أحد الباحثين (العيسري، ٢٠٢٤م).

وفاته:

توفي ابن رزيق، عام١٢٩١هـ/١٨٧٤م (ابن رزيق، ٢٠٠٩م)، بمدينة مسقط، عن عمر يناهز قرابة ٩٢ عاما (أمبوسعيدي،٢٠٠٣م) ، وكان عمرا حافلا بكل الإنجزات العلمية التي خلّد بها ذكراه، ومما يجدر الإشارة إليه هنا أن شخصية ابن رزيق دخلت ضمن شخصيات عُمانية أخرى إلى قائمة الشخصيات العالمية المؤثرة في برنامج اليونسكو عام٢٠٢٣م(وزارة الإعلام، ٢٠٢٥م).

مكانة الكتاب بين المصادر التاريخية العُمانية

سنحاول باختصار تسليط الضوء على مصادر التاريخ العماني، بغية معرفة مكانة مؤلفات ابن رزيق التاريخية بينها، سواء كتاب الشعاع الشائع أو غيره من كتبه التي لامست التاريخ العُماني من قريب أو بعيد.

ولعل أول مصدر يمكن التعويل عليه في كشف المادة التاريخية عن عُمان هي السير العُمانية، والتي هي عبارة عن:" رسالة يبحث فيها مؤلفها قضية نازلة في المجتمع ، تستدعيه أن يقول رأيه فيها، استقلالا أو جوابا لسائل، أو ردا على مخالف أو معترض"(الشيباني،٢٠١٥) ويعتبر هذا المصدر هو الأقدم بين المصادر الأصيلة التي يمكن الاستئناس بها لأخذ المادة التاريخية، ومن أمثلتها: سيرة موسى بن أبي جابر الإزكوي (ت: ١٨١هـ ٧٩٧م)، وسيرة منير بن النير الجعلاني (ق: ٢ هـ) (الندابي،٢٠١٦م)، وسيرة أبي عبدالله محمد بن محبوب بن الرحيل إلى أهل المغرب (٢٦٠هـ/ ٨٧٣م) (الندابي، ٢٠١٧م)، وغيرها كثير، والخلاصة إن هذا النوع من

المصادر يعد ملهما للمؤرخ لاستقاء المعارف التاريخية منها لقدمه في الكثير من الأحيان، ولمعاصرة بعضه للحدث (الندابي والهاشمية،٢٠٢٤م).

أما وإن توجهنا للحديث عن كتب التاريخ لتبيان مكانة الشعاع بينها فإن أول مصدر هو كتاب الأنساب لسلمة بن مسلم العوتبي (ق: ٥هـ/١١م)، ولعل السامع لأول وهلة يظن أنه يتحدث عن الأنساب فحسب، ولكن المطلع على مادته، يجده يحوي الكثير من المعلومات التاريخية ، التي سطرها المؤلف في حديثه عن شخصية معينة أو مكان معين، حتى غدا هذا الكتاب مصدرا للعديد من الكتب التي جاءت من بعده، وتكمن أهميته كونه يتحدث عن تاريخ عُمان قبل الإسلام ثم في فترة النبوة والخلافة الراشدة(الندابي والهاشمية، ٢٠٢٤م).

أما المصدر التاريخي الذي يأت بعد العوتبي هو كتاب المراقي لمحمد بن علي بن عبد الباقي (٩هـ/١٥م)، ولكن مما يؤسف له أنه لم يعثر على كل أجزاء الكتاب، وإنما وجد جزء منه، وقد كرر هذا المصدر الأحداث التاريخية التي ذكرها العوتبي ولكن بصيغة تاريخية، فتحدث عن دخول الإسلام إلى عُمان، وإمامة الجلندى بن مسعود (١٣٢– ١٣٤ه)، والمشاركة العُمانية الواضحة في الفتوحات الإسلامية، وعرّج بالحديث عن محاولة الدولة الأموية السيطرة على عُمان عن طريق الحجاج بن يوسف الثقفي (٧٥–٩٥هـ) (عبدالباقي، ٢٠١١م)، وبهذا نخلص أنه سد بعض الثغرات التي قد تكون موجودة بصورة كبيرة في أنساب العوتبي.

وبين كتاب الأنساب وكتاب المراقي يأتي كتاب سيرة الإمام ناصر بن مرشد اليعربي(١٦٢٤م – ١٦٤٩م)، لابن قيصر (بداية، ق: ١١هـ/ منتصف القرن ١٧م)، الذي حوى في مجمل مواضيعه على خط سير الجيوش العُمانية زمن الإمام ناصر بن مرشد من أجل توحيد عُمان، وما وقع فيها من إشكاليات وحروب ومعارك، توِّجت بوحدة عُمان (ابن قيصر،٢٠١٧م).

ولكوننا نحاول التدرج في هذه المصادر حتى نبلغ كتاب الشعاع فإن المصدر التاريخي التالي الذي يمكن أخذ المادة التاريخية منه، وهو سابق لابن رزيق ومصدرا له، كتاب كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة، لسرحان بن سعيد الإزكوي (ق: ١٢هـ/١٨م)، الذي استقى هو الأخر مادته الخبرية من كتاب المراقي، وتكمن أهمية هذا المصدر في معاصرته لبداية الدولة اليعربية (الإزكوي،٢٠١٢م. والندابي والهاشمية،٢٠٢٤م).

إن المصدر التاريخي الذي يفصل بين المصادر السابقة وكتب ابن رزيق كتاب قصص وأخبار جرت في عُمان، لأبي سليمان محمد بن عامر المعولي، والمشهور بابن عريق،(ق: ١٢هـ/١٨م)،

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

وتكمن أهمية هذا الكتاب كونه مكمّل لما جاء في كشف الغمة، فصاحبه مخضرم؛ إذ عاش في نهاية الدولة اليعربية وبداية الدولة البوسعيدية، ولم يكتف بالحديث عما عاصره، بل تحدث عن أحداث تاريخية منذ الفترة الإسلامية المبكرة، ثم تلاها بالحديث عن الإمامة الإباضية الأولى (١٣٢ – ١٣٤هـ)، والثانية (١٧٧ – ٢٨٠هـ)، وتعرض لغزاة عمان– من أمثال القرامطة والبويهيين والسلاجقة وغيرهم- الذين دخلوها بعد فترة التوتر التي عاشتها البلاد على إثر سقوط الإمامة الإباضية الثانية، وأورد عدد من الأئمة والملوك في عصر بني نبهان، ثم تحدث عن أئمة الدولة اليعربية، وما وقع في نهايتها من صراعات قبلية وحروب أهلية، مواصلا الحديث إلى فترة الإمام أحمد بن سعيد الذي بظهوره قامت الدولة البوسعيدية وأسدِل الستار على الدولة اليعربية(المعولي،٢٠١٤م والندابي والهاشمية،٢٠٢٤م).

بعد تلك المصادر الكثيرة تأتي كتب ابن رزيق الذي عاصر الفترات الأولى من الدولة البوسعيدية ونقل لنا ما رآه وما رواه سماعا من جده أو من أبيه، وبهذه السلسلة الذهبية وصلت إلينا مادة تاريخية ناصعة؛ للمعاصرة أولا ثم للقرب من بلاط السلاطين الذي من شأنه أن يعطي قوة للمعارف وموثوقية.

وصف للمادة التاريخية التي حواها الكتاب.

سنطرح في هذا العنصر المادة التاريخية التي ضمّها الكتاب، بغية تعريف القارئ بها، ولكي يتمكن من مجارات ما سندوِّنه في العنصر التالي من مادة نقدية لمنهجية المؤلف.

اعتمدنا على الطبعة الثانية التي أصدرتها وزارة التراث والثقافة العمانية، عام (١٤٣٧هـ/٢٠١٦م)، بتحقيق عبدالمنعم عامر، أما بالنسبة للطبعات السابقة، فحسب ما يظهر أن أول طبعة كانت في عام (١٣٩٣هـ/١٩٧٨م) لنفس المحقق، ثم ظهرت طبعة أخرى دون أن يكون فيها تغييرٌ أو زيادة عام(١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ويتضح ذلك من خلال ثبات المقدمة التي وضعها المحقق في كل الطباعات،(ابن رزيق، ١٩٨٤م) ، واستمرت هذه المقدمة تزيِّنُ بها كافة الطبعات حتى عام ٢٠١٦م (ابن رزيق،٢٠١٦م).

وقد تم إخراج هذا الكتاب بجهود مشكورة من قبل معالي السيد فيصل بن علي آل سعيد (ت: ٢٠٠٣م)، الذي شغل منصب وزير التراث القومي والثقافة في الفترة (١٩٧٦–٢٠٠٢م)، ولا يمكن أن يُنكر أي مثقف عُماني دور معاليه في إخراج الكثير من الكنوز العلمية المنوَّعة للمؤلفات العُمانية.

وقد زينة مقدمة الكتاب بكلمة من معالي السيد، يتبين منها تلك الأمنيات الصادقة التي كان يحلم بها معاليه:" وددت لو أن استطعت أن أقدم للقارئ العُماني خاصة، وإلى القارئ العربي عامة، في كل يوم كتابا من تراثنا التاريخي، وأن تسهم الوزارة في تزويد المكتبة العربية والفكر الثقافي بتلك الثروة التاريخية والعلمية والثقافية التي خلفها لنا أسلافنا السابقون وهي ثروة تمثل زادا للفكر، وشعاعا مبينا عن حضارتنا العُمانية، التي قد أسهمت بحظ وافر في النشاطات الحضارية على مختلف ألوانها وعصورها" (ابن رزيق،١٩٨٤م).

وبهذه الجهود قصد عُمان عدد من المحققين الذين استقدمتهم الوزارة لإخراج هذه الكنوز المعرفية، كما اعتمدت على أبناء الوطن، ومن أبرز هؤلاء المحققين: عبدالمنعم عامر، ومحمد علي الصليبي، وعبدالجميد حسيب القيسي، وسيدة إسماعيل كاشف، أما العُمانيون فمن بينهم: الشيخ سالم بن حمد الحارثي، والشيخ أحمد بن سعود السيابي، كما وضعت لجنة للتحقيق يرأسها سماحة الشيخ أحمد بن حمد الخليلي مفتي عام السلطنة.

ونعود إلى الشعاع، فلم يدوِّن المؤلف تاريخ تأليفه لهذا السِفر، ولكننا تمكنا من معرفة ذلك عن طريق نص ورد في ثنايا الكتاب حيث قال:" فغرسوا فيها -أي مسقط- نخلًا وأشجارًا، تسقيها آبارٌ، وآثار هذه الآبار باقية إلى هذه الغاية،سنة الخمس والسبعين والمائتين والألف(ابن رزيق٢٠١٦م) ومن هذا يتبين أن التأليف كان عام(١٢٧٥هـ /١٨٥٩م)، ولكن ما لا يمكن معرفته هو انتهاءه من التأليف.

أما مادة الكتاب فهي عبارة عن شرح لمنظومته الشعرية المكونة من ١٤٨ بيتا، التي نظمها بطلب من طلبة العلم، كما صرّح هو بذلك:" لقد سألني بعض الإخوان في الدين أن أنظم قصيدةً في أسماء أئمّة عُمان الصالحين، المنتوين عن الهجين، المسوغين عُمان وغيرها بالصنيع المعين، وأن أشرحها شرحًا مختصرًا مفيدًا، أو شرحًا بسيطًا لا يطلب العارف له مزيدًا، فأجبته مع عدم النباهة، ووجود الفهاهة امتثالًا لأمره، وانخفاضًا منّي لارتفاع قدره"(ابن رزيق،٢٠١٦م).

وقد تحدثت المنظومة عن٢٥ إماما حكموا عُمان في فترات مختلفة بدءًا من الجلندى بن مسعود(١٣٢هـ - ١٣٤هـ)، مرورا بأئمة الإمامة الإباضية الثانية، ثم تعرّض للأئمة الذين حكموا أجزاء واسعة من عُمان خلال الفترة ما بين سقوط الإمامة الإباضية الثانية وظهور عصر النباهنة (ابن رزيق، ٢٠١٦م والسيابي،٢٠١٨م).

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

ويستمر ابن رزيق في عرضه لهؤلاء الأئمة ، فيذكر أئمة عصر النباهنة الذين نافسوا ملوكها في سيادة عُمان وحكمها، ثم يتوجه بالحديث عن أئمة اليعاربة، من لدن ناصر بن مرشد (١٦٢٤-١٦٤٩م) مؤسس الدولة وانتهاءً بأخر أئمتها بلعرب بن حمير(١٧٤٤-١٧٤٨م) ، ثم يستفتح الحديث عن الدولة البوسعيدية منطلقا من مؤسسها الإمام أحمد بن سعيد (ابن رزيق،٢٠١٦م).

تعرّض في بداية كتابه بالحديث عن عُمان والتعريف بها، متحدثا عن هذا الاسم ومن أطلقه لأول مرة، مستدلا بالروايات التاريخية، ومدعما آراءه بأبيات شعرية، وختم الحديث بذكره للمذهب الإباضي، وذكر في ثنايا حديثه عن عُمان، إسلام الصحابي مازن بن غضوبة، كما لم يغفل قدوم عمرو بن العاص بكتاب رسول الله ﷺ يدعو أهل عُمان إلى الإسلام، واستخدام ملكي عُمان – عبد وجيفر ابني الجلندى- الدين الجديد سندا لتوحيد الكلمة وطرد الفرس الذين كانوا يسيطرون على بعض أجزاء عُمان حينها (ابن رزيق،٢٠١٦م).

أما المواضيع الأخرى التي خرجت شيئا قليلا عن هذا النسق الإخباري، هو حديثه عن بعض صحابة رسول الله ﷺ، كالخلفاء الراشدين وبعض الصحابة الآخرين كأمثال سعيد بن عامر وسلمان الفارسي وأبي عبيدة عامر بن الجراح – رضي الله عنهم جميعا-، وقد كان حديثه هذا بعد تعرضه للإمام ناصر بن مرشد اليعربي، ويبرر ابن رزيق توجهه نحو الحديث عن الصحابة أن الإمام ناصر سعى للسير على نهجهم والاقتداء بهم وظهر ذلك من قوله: (ابن رزيق،٢٠١٦م)

حكى الصديق والفاروق عدلا فأنضى النفس بالعدل الطلابا

وجاء في شرحه لهذا البيت قوله:" لقد مضى الكلام في "حكى" أنه بمعنى ناظر وشابه، وماثل، أي: أن الإمام ناصر بن مرشد حكى بالعدل الصديق وهو أبو بكر – رضي الله عنه- وحكى به الفاروق وهو عمر رحمه الله" (ابن رزيق،٢٠١٦م).

وكان آخر المواضيع التي تحدث فيها هو انتقال حكم عُمان من اليعاربة إلى يد البوسعيد ومبايعة الإمام أحمد بن سعيد، وذكر تحت هذا العنوان علاقة أجداده بالإمام، وكيف تخلّص من العجم (الفرس)، وركّز على تفاصيل تلك الطريقة التي استخدمها الإمام للتخلص منهم، نظرا أن عائلة ابن رزيق قد اسطلت بجور العجم وظلمهم؛ فيذكر أن اثنين من أعمامه أسرهم العجم (ابن رزيق،٢٠١٦م).

ثم تعرض لأخر الأئمة اليعاربة – بلعرب بن حمير– الذي لقى حتفه في "معركة فرق" بينه وبين الإمام أحمد ، وبذلك انتهت الدولة اليعربية بموت آخر أئمتها ، ولم ينس التعرض لثورة ناصر بن محمد الغافري، والتي انتهت بهزيمة الإمام وقتل عدد غفير من جنده (ابن رزيق،٢٠١٦م).

قراءة نقدية للمنهجية المتبعة في الكتابة.

سنروم في هذا العنصر تقديم قراءة نقدية لأسلوب ابن رزيق في كتابه الشعاع الشائع، وسنضطر في بعض الأحيان مقارنته بأسلوبه المستخدم في كتابه الآخر "الفتح المبين"؛ نظرا لتقارب الكتابين في المنهجية والمادة التاريخية المقدمة في كليهما.

سار ابن رزيق على المنهجية المتبعة في التدوين عبر العصور الإسلامية، فنجده يصرّح بعنوان كتابه:" وقد سميت هذه القصيدة الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أسماء أئمة عُمان، ومالهم في العدل من الشأن طالبا بذلك الأجر والغفران من اللّه المنان" (ابن رزيق،٢٠١٦م)، وبهذا لم يترك مجالا للتخمين أو تسمية المؤلف بغير الاسم الذي ارتضاه، كما يتبين أيضا أن المخطوط الأصلي قد عُثر عليه كاملا لم ينقص أوله.

طفق المؤلف مباشرة بشرح القصيدة مستفتحا بالبيت الأول، والذي بدأ الحديث فيه عن عُمان وسبب التسمية (ابن رزيق،٢٠١٦م)

عُمان عن لسانِ الحال رُدِّي جوابًا منك لي أرجو الجَوَابَا

ونستشف من هذا أن أصل الكتاب هو تلك القصيدة النظمية والذي بين أيدينا الآن هو الشرح المفصل لها ، تلبية لرغبة من طلب منه ذلك كما بينا آنفا.

وحين نتوجه لمنهجيته في الشرح، نستطيع أن نجد صيغةً موحدةً في الكثير من الأحيان، فهو يورد البيت ثم يقوم بشرح كلماته الغامضة، وبعدها يقوم بإخراج صور البديع فيه، وإعرابه نحويا ، ثم يستدل بأبيات شعرية أخرى من شأنها أن توضح نظمه أو تكون مفسِّرة لبعض كلمات أبياته، ولم يغفل ابن رزيق تأييد ما رسمه في سِفره من آيات اللّه المباركات، التي كان يوردها إما إعانة على فهم الأبيات، أو تأكيدا لبعض المفاهيم أو الأساليب اللغوية والبديعية، كما طعّم كلامه بالكثير من الأحاديث النبوية (ابن رزيق،٢٠١٦م).

لقد زاوج ابن رزيق بين المنهج التأريخي والمنهج الشرعي، فجعل المنهج الشرعي مطية لتأكيد الروايات التاريخية، مما زاد من دقة معلوماته المدعمة بالأدلة الشرعية، فأخرج

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

لنا سردية ممزوجة بين التاريخ والوعظ والتوجيه الديني بصورة عامة والمذهبي في أحيان قليلة.

ونجده بعد أن ينهي كل ما يتعلق بالبيت الشعري يتوجه نحو التاريخ ليروي لنا ما له علاقة بموضوعه، وقد يتوسع في ذلك فيخرج عن إطار الشرح، وحينما يورد شرح الأبيات نجده يقول " قوله" أو" قال الناظم المفسر" أو" قال صاحب القصيدة" (ابن رزيق،٢٠١٦م) فيظن القارئ للوهلة الأولى أن القصيدة ليست من نظمه، وهذا مرده إلى أمرين اثنين إما تواضعا منه، أو جرياعلى المنهجية التي يسير عليها الشرّاح في تلك العصور.

نجد غياب للمنهج المقارن في مرويات ابن رزيق ، فالكثير من الروايات التاريخية مسرودة سردا واحدا دون ذكر للخلاف فيها، خاصة في الأحداث التاريخية التي تمس التاريخ الإسلامي العام أو التاريخ العالمي كبعض الجيوش التي وصلت عُمان سواء في زمن الدولة الأموية أو العباسية،أو من قبل الدول الأوربية (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي هذا الأمر إشكاليات كبيرة من بينها عدم الدقة في إيراد الخبر، وكذلك الإنحيازإلى مصدر محلي دون الإطلاع على نظيره من كتب الآخر، وفي هذا مغامرة كثيرة نظرا للذاتية التي عادة ما تهيمن على المؤرخ حين إيراده خبرا متعلقا بوطنه أو يمس توجهاته أو مذهبه.

اتبع ابن رزيق المنهج التفصيلي في بعض النواحي السياسية والعسكرية، فيذكر أحيانا أعداد الجيوش في المعارك "وبلغنا أن القوم الذين اجتمعوا مع أبي مروان اثنا عشر ألفا، والله أعلم" (ابن رزيق،٢٠١٦م)، ويحصي بعض الأحيان القتلى، فيتحدث عن المعركة التي دارت بين الإمام أحمد بن سعيد ومعارضه ناصر بن محمد الغافري، وأن الذين قتلوا من جيش الإمام كانوا قرابة اثنا عشر ألف، وأن بينها وبين المعركة التي سبقتها – معركة فرق- اثنا عشر عاما(ابن رزيق،٢٠١٦م)، ويتعرض للخطط العسكرية التي قامت بها الجيوش العُمانية أو المعادية وكانت سببا في انتصارها، كما حدد بعض الأحيان مسارات الجيوش القادمة نحو عُمان أو الخارجة منها، أو تلك التي كانت تحت قيادة الأئمة لتوحيد عُمان، من ذلك ما ذكره عن مسار الإمام ناصر بن مرشد في جهوده للوحدة:" وكان مسكنه يومئذ بقصرى من الرستاق، والمالك لحصن الرستاق وقلعتها يومئذ مالك بن أبي العرب اليعربي فمضى إليه الإمام ناصر المذكور ومن معه من رجال اليحمد... ثم توجه نحو نخل... فلما وصل إلى سمائل

خلص له حصنها... ومضى ببقية القوم إلى نزوى... فلما وصل وادي بني رواحة" (ابن رزيق،٢٠١٦م).

أما اللغة المستخدمة في الكتابة فتدل على أننا أمام قامة من قامات اللغة والبلاغة، التي تمتلك زمام اللغة ومفرداتها، ويتضح ذلك من القاموس اللغوي الكبير الذي تحويه ذاكرة هذا العالم اللغوي، كما نجده حاضر البديهة للأدلة التي يمكن أن تدعم أبياته الشعرية من نحو أو بلاغة أو عروضا أو معرفة، مما يدل على موسوعيته وتمكنه من مادته التاريخية واللغوية.

نجد في ثنايا الكتاب تعرضه لبعض مؤلفاته والتي يحيل إليها القارئ حتى لا يقع في التكرار والإسهاب، كما أن فيها دعوة صريحة لقرائتها، ناهيك أن ذلك التصريح أوضح مكانة هذا السِفر الذي بين أيدينا وموقعه بين مؤلفاته الأخرى، لهذا لم يكن هذا الكتاب الأول من نوعه في فنه ومضمونه وإنما سبقته بعض المؤلفات الأخرى، ومما قال في ذلك:" والقصة طويلة اختصرتها، وبسطتها في كتابين من تصنيفي، أحدهما: في كتاب سيرة الإمام أحمد بن سعيد وأولاده، والثاني: في القطعة اليمنية (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، والكتاب الأول المقصود به كتاب الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، أما الكتاب الأخر فالمقصود به "الصحيفة القحطانية".

أما الذاتية في الكتابة فهذه قلما ينجو منها أحد، ولكن تبقى أن هناك ذاتية إيجابية وذاتية سلبية كما يشير إلى ذلك الفيلسوف الفرنسي بول ريكور:" إننا نريد من المؤرخ شكلا محددا من الذاتية، ولكن ليست أي ذاتية كانت، إنما هي ذاتية تتوافق مع دقة موضوعية التاريخ، إنها ذاتية مدغمة في الموضوعية التي نبتغيها، فنحن نؤمن بأن هناك نوعين من الذاتية إحداهما إيجابية والأخرى سلبية" (عبدو،٢٠٢٢م)، وعندما نسقط هذا النص على ما دونه ابن رزيق نجد أنه حاول أن يتعالى على الذاتية ويدون روايته بعيد عنها، إلا أن لم يتخلص منها نهائيا، فوضحت بعض الذاتية في تعرضه للروايات المتعلقة بالأئمة الصالحين أو الروايات المتعلقة بالحروب العُمانية ضد اعدائهم وإظهار القوة والظفر المبين للجيوش العُمانية.

ولعل ما يشد القاريء أيضا تلك الجوانب الفلسفية التي استفاض فيها ابن رزيق والتي يصعب على القاريء العامي فهمها لما فيها من عمق كلامي وحوار عقلي عميق، من ذلك قوله عند

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

الحديث عن كم العددية وأنواعها:" وفريق يقولون مكان الماء من الإناء الفضاء الذي في الإناء يقدر خلاصه، قالوا فارقة الماء، ولم يخلفه غيره، وهو أيضا عند القائل من جملة الكم المتصل، لأنه ذو مقدار ما يقبل الانقسام والمساواة والتفاوت، وأما الزمان فهو مقدار الحركة إلا أنه ليس له وضع، إذ لا وجود لإجزائه معا، فإنه لا ثبات له، وإن كان له اتصال، إذ ماضيه ومستقبله يتحدان بطرف الآن، أما المنفصل فهو الذي لا وجود لإجزائه لا بالقوة ولا بالفعل شيء مشترك يجري مجرى النقطة من الخط" (ابن رزيق،٢٠١٦م)، ولعل القارئ يشاطرني الرأي أن هذا النص يحتاج إلى مزيد تركيز حتى يُفهم المقصود منه، والمعلومة التي يعالجها، ولئن كان هذا النص ليس من منظومه بل من منقوله ويتضح ذلك في قوله بنهاية النص "انتهى"(ابن رزيق،٢٠١٦م) ، والتي تشي أن النص مقتبس، ولكن لا يمنع هذا من وصف ابن رزيق بأنه هاضم للنص فاهمه، وإلا لما أورده في هذا الموضع اللائق به والذي يدعم فكرته التي يروم شرحها.

ويتضح استخدامه لمنهجية الاقتباس المطول في ثنايا الكتاب الذي قد يستغرق الصفحات الطوال ذات العدد، خاصة عند حديثه عن الصحابة، فقد اقتبس الكثير من الأخبار عنهم من كتب السير، دون أن يذكر في الكثير من الأحيان مصادره أو يسمي مؤلفيها، وإن كان في حالات نادرة جدا يقدم على ذلك، ولعل ما يمكن أن يعد ضعفا في الكتاب هو هذا الاقتباس الكبير والخروج عن الموضوع الرئيس والدخول في موضوع مختلف بسبب بيت شعري وهو قوله:

حكى الصديق والفاروق عدلا فإنضى النفس بالعدل الطلابا

وقد استغرق الحديث عن الصحابة بسبب هذا البيت أكثر من ستين صفحة(ابن رزيق،٢٠١٦م)، خرج بها عن الموضوع الأساسي الذي صرّح به في بداية تأليف وهو الحديث عن أئمة عُمان وما وقع في عهدهم.

ونراه يرجح بعض الروايات التاريخية، وهذا ليس ديدنه كما ذكرنا آنفا بل نادرا، ولكن حتى هذا الترجيح لا ينسبه لنفسه وإنما ينسبه لمن أخذ منهم الروايات، ومما جاء في ذلك قوله:" اتفق أهل العلم بالسير والأخبار من أهل عُمان، أن الإمام المهنا بن جيفر الأزدي عقدت له الإمامة يوم الجمعة في شهر رجب سنة ست وعشرين ومائتين" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي موضع آخر يقول :" اتفقت الروايات الصحيحة الأخبار عن العلماء من أهل عُمان الأحبار، أن الإمام

الخليل بن شاذان اليحمدي الأزدي لما بويع له بالإمامة وطيء أثر السلف الصالحين، وسار سيرة الأئمة الاستقاميين" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي مكان آخر يصرّح بقوله:" قد انتهت الروايات عن الثقات من أهل عُمان" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي عبارة شبيهة يقول:" اتفق أهل الروايات الصحيحة والأسانيد الصريحة من أهل عُمان في أخبار الإمام سلطان بن سيف" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وطبعا الجزم بهذه الروايات لا يخلو من مجازفة؛ لوجود الكثير من الروايات الخلافية في ذلك، ناهيك أنه لم يؤكد تلك الروايات بالمصادر الداعمة، وإنما ذكرها بهذه الطريقة العفوية.

ويذكر مثل هذا الأمر في موضع آخر، ولكن بأسلوب مغاير حيث يصرّح بالتوافق بين أهل العلم في المعنى، وأن اختلافهم في اللفظ فقط:" اتفق أهل العلم بالسير والتواريخ من أهل عُمان، فاختلفوا لفظا، وائتلفوا معنى على أنه لما كَثُر في عُمان من جورتها الظلم والطغيان" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، ولعل هذا المثال الوحيد الذي يتضح منه اطلاع ابن رزيق على عدد من المصادر المختلفة في الروايات التاريخية، والتي تجعله يصدر مثل هذه الأحكام الدقيقة، ولكن تبقى الإشكالية قائمة ومردها عدم ذكره لأسماء هؤلاء العلماء أو مصنفاتهم التي أخذ منها.

لم يخلو الكتاب من أخطاء وتناقضات في الروايات التاريخية بينه وبين كتابه الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين، من ذلك ما ذكره في الشعاع أن قائد الجيش الذي أمر به الإمام ناصر بن مرشد لتحرير صور وقريات هو الشيخ خميس بن سعيد الشقصي (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، ثم يذكر هذه الحادثة بنفس تفاصيلها ولكن يقول فيها :" ثم أن الإمام جمع جيشا كبيرا وأنفذه إلى صور، وأمير ذلك الجيش ابن عمه، وهو سلطان بن سيف بن مالك اليعربي ... ثم مضى إلى قريات"(ابن رزيق،٢٠١٦م)، ولسنا هنا بصدد الفصل بين الروايات وترجيحها، ولكن بنظرة عامة وبالرجوع إلى المصدر الأقدم والأقرب إلى هذه الحادثة – ابن قيصر- نجده لا يذكر هذه الشخصيات، وإنما يتعرض لقائد عسكري آخر قاد هذه الجيوش الى مدينة صور، وهو القائد العُماني أبو العرب بن مانع بن إسماعيل، فقد جاء في ذلك قوله:"ثم أن مولانا الإمام المؤيد المنصور، جهز جيشا ووجهه مع بعض الولاة إلى صور وهو أبو العرب بن مانع بن إسماعيل، وهي بلد شاسعة عن ملك النصارى، فنزل بها المسلمون وحصروها جهارا، فلم تزل الحرب بينهم ليلا ونهارا (حتى) دخلها المسلمون فتحا ونصرا.."(ابن

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

قيصر،٢٠١٧م)، ومحاولة منا للبحث عن مسوغ لهذه الرواية، نقول لعل أسماء القادة الذين ذكرهم ابن رزيق هم من الذين يمكن إدراجهم في قول ابن قيصر في النص السابق"مع بعض الولاة"، ولكن قد يقول قائل أن تلك الشخصيات أشهر وأعظم مكانة من اسم القائد الذي ورد في النص، والخلاصة يمكن الخروج من هذا بقولنا أن هؤلاء القادة قد يكونوا خرجوا في جيوش أخرى غير هذا الجيش الذي قاده أبو العرب، والله أعلم بالصواب.

تقييم المصادر والمراجع التي اعتمد عليها المؤلف.

تنوعت مصادر ابن رزيق في كتابه هذا، بين كتب التاريخ العماني والعام، والكتب الفقهية وكتب السير والمغازي وكتب الرجال وكتب التفسير والمسانيد والصحاح، والروايات الشفهية، والاعتماد على بعض الوثائق والعهود والمراسلات والمعاهدات التي وقعت بين يديه ولم يخلُ كتابه من الإشارة -في بعض الأحيان- إلى شيء من الكتب الغربية أو الاستعانة بها، وسنفصّل هذه المشارب في الأسطر التالية.

يأتي في المقدمة القرآن الكريم، الذي زين به ابن رزيق كتابه مستخدما الآيات في تدعيم بعض الاستدلالات اللغوية التي يستخرجها من أبياته الشعرية أو بعض الأبيات الأخرى من ألسن الشعراء العمانيين خاصة والعرب عامة، وهذا أعطى الكتاب بُعدا دينيا عميقا، وفهما أعمق للآيات.

فهنا يستدل بقوله تعالى:" **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَقْبَلْنَا فِيهَا ۖ وَإِنَّا لَصَادِقُونَ** " (سورة يوسف،الآية٨٢) في تأكيد الجانب البلاغي المجازي الدال على الحقيقة كما وصفه بذلك في قوله :" وإنما سمي المجاز مجازا أي: مجاز للحقيقة في هذه الطريقة" (ابن رزيق،٢٠١٦م)، ويقصد هنا أن قوله تعالى " **وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**" أي أهل القرية، فالقرية جماد لا يمكنها الإجابة، وكل هذا كان جوابا على السؤال المجازي الذي طرحه في قوله: (ابن رزيق،٢٠١٦م)

عُمان عن لسان الحالي ردي جوابا منك لي أرجو الجوابا

كما استند في مواضع كثيرة على الأحاديث النبوية التي طعّم بها سفره سواء لتأكيد جانب بلاغي، أو لتدعيم رأي شرعي مرتبط بصيرورة التاريخ وأحداثه. من ذلك تعرضه لحديث عن النبي ﷺ الذي روته السيدة عائشة -رضي الله عنها- أنها قالت : سمعت رسول الله

ﷺ يقول:" أكثر روّاد حوضي يوم القيامة أهل عُمان"(ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وقد استدل بهذا الحديث في تأكيده على مكانة عُمان في قلب النبي ﷺ ، وصدق إيمانهم.

وصرّح ابن رزيق برجوعه إلى البغوي في تفسيره للقرآن الكريم، وذلك عند الحديث عن ماهية قريش، المذكور في سورة قريش، ثم ينقل نصا عن البغوي بحذافيره دون تغيير أو تدخل أو شرح أو تحليل (البغوي،١٤٢٠هـ)، ولم يكن هذا الموضع الوحيد الذي عاد فيه ابن رزيق إلى هذا المصدر، فنجده يرجع إليه في كثير من الأحيان عند تعرضه لتفسير آي الكتاب الحكيم (ابن رزيق،٢٠١٦م)، بل لا نبالغ إن قلنا أنه التفسير الوحيد الذي اعتمد عليه في كتابه هذا.

وفي سير الصحابة نجده يعتمد كثيرا على سيرة ابن هشام، وينقل منه نصوصا طويلة دون أن يكون فيها تعليق أو تحقيق أو تحليل، وقد أكثر رجوعه إلى هذا المصدر عند حديثه عن الخليفتين الصدِّيق والفاروق–رضوان اللّه عليهم– (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، إن هذا النقل الطويل من هذه المصادر تجعل القارىء -والذي لا يعود إلى مصدر معلومات ابن رزيق- يتوه ولا يتمكن من معرفة المعلومات الواردة هل هي من نفس المصدر الأول؟، أم انتقل ابن رزيق إلى مصدر آخر؟، لأنه في كثير من الأحيان لا يصرّح بانتهاء النقل من ذلك المصدر كما هي عادة المؤلفين القدامى حين يوردون كلمة "انتهى" أو ما شابهها من كلمات للدلالة على انتهاء النص المنقول.

أما من حيث المصادر والمراجع التاريخية والدينية الأخرى، فكما ذكرنا آنفا أنه قليل بل نادر ما يذكر مصادره ومراجعه(أمبوسعيدي، ٢٠٠٣م)، وإن ذكرها في مواضع قليلة جدا، نجده تارة يصرّح بالمصدر بتفاصيله وتارة أخرى يصرّح بمؤلفه أو عنوان الكتاب، وعلى سبيل المثال نجده يذكر قصة طويلة عن غزو الحجاج الثقفي لعُمان، ويختم هذه القصة بقوله:" والقصة طويلة، تركتها طلب الاختصار" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ،ولم يشر هنا إلى مصدر هذه القصة التي رأى أنها كبيرة.

ونجده يصرّح برجوعه إلى كتاب القاموس في تعريف معنى مدينة نزوى ويعيب على الفيروزآبادي أنه عرفها بأنها جبل بعُمان، فقدم تعريفا للمدينة مختلفا وحدد حدودها الجغرافية أيضا، كما صرح أيضا برجوعه إلى مرويات الشيخ خلفان بن قيصر صراحة، وأورد رواية متعلقة بمبايعة الإمام سعيد بن عبداللّه بعد فترة من الخلاف بين علماء عمان(ابن

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

رزيق،٢٠١٦م) ، وعندما نمعن النظر في هذه الرواية يتبادر إلى الأذهان مباشرة كتاب ابن قيصر سيرة الإمام ناصر بن مرشد، ولكن الواقع أن هذه الرواية غير موجودة ، إذ الكتاب يتحدث عن الإمام وتوحيده لعمان، كما أن اسم المؤلف هو عبدالله بن خلفان بن قيصر، ومن هذا نخرج بأن الرواية هذه شفهية نقلت عن هذا الشخص "خلفان بن قيصر" أو أن هناك تصحيف في الاسم أو متن الرواية.

واعترف برجوعه إلى ما كتبه أبو نبهان جاعد بن خميس، وأثنى عليه ثناء عطرا حين قال :" وقال القطب الرباني أبو نبهان، الرئيس جاعد بن خميس"(ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وهذا دليل على المكانة التي تبوئها هذا العالم في قلب ابن رزيق، وأنه كان أحد العلماء الذين نقل منهم الروايات التاريخية، ولعل الشيخ الرئيس ومن قبله ابن قيصر هم من أولئك المشائخ الذين أطلق عليهم ابن رزيق صفة "الثقات" في قوله:" قد انتهت الروايات عن الثقات من أهل عُمان" (ابن رزيق،٢٠١٦م).

ومن كتب التراث العربي والإسلامي التي صرّح بالرجوع إليها كتاب مروج الذهب للمسعودي، وقد نقل منه نصاً كبيراً متعلقاً بحادثة مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنه- على يد المجوسي أبي لؤلؤة، كذلك ذكر رجوعه إلى كتاب معيار العلم لأبي حامد الغزالي (ابن رزيق،٢٠١٦م).

في كثير من الأحيان يستعين ابن رزيق بالروايات الشفهية التي ينقلها من العلماء الذين عاصرهم، من ذلك قوله:" وقد سألت بعض المشايخ عن الإمام المهنا" (ابن رزيق،٢٠١٦م)،لكن لم يصرّح باسم هؤلاء المشائخ، بل بعض الأحيان يجعل الرواة مبهمين حين يذكر قوله "وبلغنا"، وأحيانا "وقيل"، وفي موضع آخر"فعن غير واحد"، فلا يصرّح بالراوي في ثنايا الرواية، وفي حين آخر يصرّح بمكانة من ينقل عنهم وأنهم مستقيمين"فعن غير واحد من المسلمين الاستقاميين" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي مواضع أخرى يثني على من يروي عنهم ويذكر اسم واحد منهم كما في قوله:" أخبرني غير واحد من المشايخ الذين أصدقهم، منهم الشيخ القاضي مبارك بن عبدالله النزوي وغيره، أنه صح معهم عن روايات ثقات من أهل عُمان" (ابن رزيق،٢٠١٦م) ، وفي ثنايا بعض الروايات نجده يحدد أن من يروي عنهم هم من المشائخ الذين بلغوا من العمر عتيا" أخبرني غير واحد من المشايخ المُسنّة عن أهل عُمان عن آبائهم" (ابن رزيق،٢٠١٦م).

وصرّح أنه أخذ بعض الروايات عن أبيه وجده، وعن من عاصرهم من العلماء، فقال في ذلك:" أخبرني أبي محمد بن رزيق عن أبيه جدي رزيق بن بخيت بن سعيد بن غسان، والشيخ معروف بن سالم الصائغي والشيخ خاطر بن حميد البداعي والشيخ محسن العجمي القصاب" (ابن رزيق،٢٠١٦م).

ولقد استدل بالعديد من الأبيات الشعرية لشعراء كبار لهم سيطهم في عالم الشعر وفنونه على سبيل المثال لا الحصر: أبو تمام وأبو نواس والمتنبي وابن النضر العماني وغيرهم كثير (ابن رزيق،٢٠١٦م).

ومن الوثائق التي صرّح ابن رزيق أنه اطلع عليها ولكنه لم يشئ أن يذكرها لكثرة ما بها من كلام قبيح كما بيّن ذلك، ذلكم الكتاب الذي بعث به ملك اليمن إلى الإمام سيف بن سلطان اليعربي – قيد الأرض-"هذا الكتاب المذكور من إمام صنعاء لقد وقفت عليه وقرأته، وما أحببت أن أسطر ما فيه في هذا الكتاب وغيره، على ما فيه من الكلام الشنيع القبيح الذي لا يصدر عن مليح"(ابن رزيق،٢٠١٦م) ، ويظهر أنه كان يحتفظ بالكثير من هذه الوثائق التي ذهب بعضها حرقا بسبب النيران التي اشتعلت في منزله في عام ١٢١٦هـ/١٨٠١م، فقد ذكر أن صندوقا كانت به بعض الوثائق احترق من ضمن الأشياء التي احترقت في هذه الحادثة الأليمة (ابن رزيق،٢٠١٦م).

الخاتمة

بعد هذا التطواف والقراءة العميقة لهذا السِفر المبارك، نصل إلى خاتمة البحث لنسطر بعض النقاط الرئيسية التي توصلنا إليها.

-إن الكتاب الذي بين أيدينا قد منّ الله على مؤلفه بأنه أبقاه ليصل إلينا ليوضح لنا المكانة العلمية التي بلغها مؤلفه في تلك الفترة التي تقل فيها المصادر وتشح فيها الكتب مقارنة بما نحن فيه من سهولة الوصول إلى المعرفة والعلم.

-إن المادة التاريخية التي حواها الكتاب مادة مهمة جدا من عمر التاريخ العُماني وهو وإن كان لم يعاصر ردحا زمنيا منها إلا أنه حفظ لنا ما روته الكتب الأخرى من أحداث تاريخية.

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

-إن الكتاب يعكس لنا تنوع المصادر المعرفية لدى المؤلف ما بين الكتب التاريخية العُمانية والكتب الفقهية ثم كتب التراث الإسلامي المتنوعة في مادتها إلى تلك الروايات التي صرّح بأنه أخذها من أفواه العلماء أو كبار السن الذين عاصرهم.

-القصيدة الشعرية التي بنى عليها المؤلف كتابه ثم قام بشرحها تنم عن تمكن من هذه الصنعة وتميز فيها، وإن الشعر أصبح مطواعا للمؤلف ينسجه على الغاية التي يريد والفكرة التي يرنو إلى إيصالها.

-النصوص الفلسفية التي أوردها المؤلف تفصح عن فهم عميق لهذا العلم الذي لم يكن منتشرا في عُمان، لهذا يمكن أن نعد ابن رزيق شخص متذوق للفلسفة ومحب لها وهاضم لفكرها وأفكارها ومنطقها وتمنطقها.

-الترتيب التاريخي للأئمة يدل على فهم لكل مراحل التاريخ العُماني وحرص شديد على إيراده بالطريقة التي تكون على النسق والترتيب الزمني للأحداث من الأقدم إلى الأحدث.

-من خلال تتبع المنهجية التي سار عليها المؤلف يتبين ضخامة المكتبة الخاصة التي يمتلكها والتي استقى منها الكثير من المعارف التي سطرها في سفره هذا.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم. المدينة المنورة: مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف.
- الإزكوي، س. ب. س. (2012). *كشف الغمة الجامع لأخبار الأمة* م. ب. السليمي &م. ح. صالح، تحقيق). وزارة التراث والثقافة.
- أمبوسعيدي، ع. ب. س. ب. ح. (2003). *ابن رزيق حميد بن محمد بن رزيق (١١٩٨–١٢٩١هـ/ ١٧٨٣–١٨٧٤م) ودوره في كتابة التاريخ العماني: دراسة في مصادره ومنهجه* (رسالة دكتوراه غير منشورة). الجامعة الأردنية.
- البغوي، أ. م. ا. ب. م. (١٤٢٠هـ). *معالم التنزيل في تفسير القرآن الكريم* (ع. الرزاق المهدي، تحقيق). دار إحياء التراث العربي.
- ابن رزيق، ح. ب. م. (2016). *الفتح المبين في سيرة السادة البوسعيديين*)ع. م. عامر &م. مرسي، تحقيق). وزارة التراث والثقافة.

- ابن رزيق، ح. ب. م. (2016). *الشعاع الشائع باللمعان في ذكر أئمة عُمان* (ع. م. عامر، تحقيق) (الطبعة الثالثة؛ العمل الأصلي نشر ١٩٨٤). وزارة التراث القومي والثقافة.
- الشيباني، س. ب. م. (2015). *مفتاح الباحث إلى ذخائر التراث الفكري العُماني*. ذاكرة عُمان.
- عبد الباقي، م. ب. ع. (2011). *كتاب المراقي: فصل في بعض أخبار أهل عُمان* (ف. ب. ع. السعدي، ضبط وتصحيح). ذاكرة عُمان.
- عبد الله، م. م. (بدون تاريخ). ابن رزيق المؤرخ العماني. *مجلة التاريخ العربي*. تم الاسترجاع في ٢٦ يونيو ٢٠٢٥، من [الرابط]
- العيسري، م. ب. ع. (٢٠٢٤، ٣ مارس). سبائك اللجين: عالم في ديوان شعر. *جريدة عُمان*. تم الاسترجاع في ٢٦ يوليو ٢٠٢٥، من [الرابط]
- ابن قيصر، ع. ب. خ. (2017). *سيرة الإمام ناصر بن مرشد* (ع. م. ح. القيسي، تحقيق). وزارة التراث والثقافة.
- المطورشي، ح. (٢٠٢٤، ٢٤ نوفمبر). نبلاء وعباقرة: شعراء في بلاط أئمة وسلاطين البوسعيد. *جريدة عُمان* (العدد ١٨). تم الاسترجاع في ٢٥ يوليو ٢٠٢٥، من [الرابط]
- المعولي، م. ب. ع. (2014). *قصص وأخبار رجرت في عُمان* (س. ب. م. الهاشمي، تحقيق). وزارة التراث والثقافة.
- الندابي، ن. ب. ع. (2016). *سيرة منير بن النير الريامي الجعلاني إلى الإمام غسان بن عبد الله اليحمدي*. ذاكرة عُمان.
- الندابي، ن. ب. ع. (2017). *سيرة الشيخ الفقيه محمد بن محبوب بن الرحيل إلى أهل المغرب*. ذاكرة عُمان.
- الندابي، ن. ب. ع. (٢٠٢٤). وشيخة الهاشمية: قراءة في مصادر التاريخ الحضاري العُماني في العصر الإسلامي الوسيط. *مجلة رفوف – مخبر المخطوطات، جامعة أدرار، الجزائر*، ١٢ (2).
- وزارة الإعلام – البوابة الإعلامية، سلطنة عُمان. (٢٠٢٥، ١ أغسطس). [عنوان الخبر]. تم الاسترجاع من [الرابط]

https://doi.org/10.20428/jss.v32i2.3520

- ابن هشام، ع. ب. ه. ب. أ. (بدون تاريخ). *السيرة النبوية* (ط. ع. الرؤوف سعد، تحقيق). شركة الطباعة الفنية المتحدة.